على م.ت.ف. في الفترة ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠. فهي تناقش، في الفصل الخامس تحت عنوان «اشتداد الخناق»، آثار السياسة الاسرائيلية داخل لبنان وسياسة السادات المتمثلة بزيارة القدس وعقد اتفاقي كامب ديفيد، على وضع م.ت.ف. في لبنان. كما تعيد الى الذاكرة طبيعة الاوضاع الاقليمية والتي اخذت تنقلب في مصلحتها ضد مصلحة م.ت.ف.، رغم هزة ايران ونجاح «فتح» اخيرا في عقد مؤتمرها الرابع في ربيع ١٩٨٠.

ويستمر المنطق في الفصل السادس، «الجناح المكسور»، حيث تتعقب المؤلفة التطورات على مستويين، هما: السياسة الاقليمية والعلائق الدبلوماسية الناشئة، والمتمثلة في تولي رونالد ريغان لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة وطرح مشروع فهد وعقد دورة المجلس الوطني الخامسة عشرة، وثانيا، تصاعد اجواء الحرب في لبنان اثر ازمة الصواريخ السورية ووساطة فيليب حبيب، وصولا الى غزو ١٩٨٢ وحصار بيروت وما تبعه من اخلاء ومجازر ومبادرات دبلوماسية (مبادرة ريغان ومؤتمر فاس)، فترى كوبان انه في الوقت الذي خرجت فيه م.ت.ف. من حرب ١٩٨٢ محتفظة بجوهر عناصر قوتها وحيويتها، فان مرحلة تاريخية متكاملة قد انتهت مع ابتعاد القوات الفلسطينية خاصة، والقيادات والمؤسسات الفلسطينية، عن آخر حدود «مفتوحة» للمجابهة مع العدو الصهيوني. واذا كانت ثمة ثمار ومكاسب سياسية تحققت في الضفة الغربية والارض المحتلة عموما، فان الجناح الآخر لحركة مقاومة الشعب الفلسطيني المعاصرة، اي جناح «الخارج»، قد كُسر ويحتاج الى علاج.

تنتقل المؤلفة، في الجزء الثاني من كتابها، الى معالجة العلاقات الداخلية الفلسطينية، وتقصد بذلك علاقات التنظيمات المسلحة الشريكة لحركة «فتح»، وجموع الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال المنقسمين الى سكان الضفة الغربية وسكان قطاع غزة ومواطني ارض ١٩٤٨.

ويتمحور الفصل السابع، حول تاريخ نشوء وتطور الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، وطلائع حرب التحرير الشعبية ـ الصاعقة، والجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، مع موجز عن بقية الفصائل. وقد خصصت المؤلفة حيزا واسعا للجبهة الشعبية، ولدورها في العمليات الخارجية وفي «جبهة الرفض». هذا، وبعد مناقشة اهم مواقف هذه الفصائل، تقدم كوبان لمحة عن المحاور او الافراد في داخل «فتح» ممن اعتبروا انفسهم مناهضين لقيادتها، لتنتهي بمناقشة حول علاقات مختلف الفصائل الفلسطينية ببعضها البعض، وحول الجدال الدائر داخل «فتح» حيال اهم القضايا خلال مسيرتها الحديثة.

ثم تلقي كوبان نظرة ثاقبة على تطور مقاومة الارض المحتلة للاحتلال، في الفصل الثامن، وتنجح في التقاط اهم سمات تلك المقاومة واستيعاب اهمية التفاعل العضوي بين صمود اهل «الداخل» وبين استمرار مقدرة م.ت.ف. في «الخارج» على تحدي الموازين الاقليمية والدولية واللعب عليها. اذ يندر في الكتابة الغربية، وحتى في العربية، ان يدرك كاتب حقيقة اعتماد كل جناح على الآخر، رغم الانفصال العملي بينهما من حيث الاطر التنظيمية والاعتبارات المادية والقيود الفعلية. اي ان كل جناح يستمد القوة المعنوية والتشجيع من الآخر، دون ان يتجاوز ذلك حدود التنسيق السياسي العام ليبلغ مستوى توزيع المهام ووضع البرامج الميدانية لتخطيط وتوجيه العمل العسكري او الجماهيري في كل من الداخل والخارج. واذا كان هذا الواقع يمثل تقصيرا او فشلا من قبل م.ت.ف. التي كان يفترض فيها ان ترقّي درجة ادارتها وتنظيمها لوضع الداخل، فان المؤلفة تظهر، ايضا، كم عوَّض نضال اهل الداخل عن ذلك النقص، بل وكم هي درجة الثقة بين قيادة الخارج واهل الداخل، مما اشاع جو الثقة والوفاء بين الجناحين.

وثم تنتقل كوبان، في الجزء الثالث، الى العلاقات العربية الدولية لحركة «فتح» وم.ت.ف.، في الفصلين التاسع والعاشر. ويشكل الفصل المتعلق بالعلاقة الفلسطينية بالمحيط العربي احد اهم فصول الكتاب، نظرا الى الدور الجوهري لهذه العلاقة ووضوح رؤية كوبان لها. فتتناول المؤلفة الفترة الصعبة التي مرت بها «فتح» قبل حرب ١٩٦٧ ومعركة الكرامة، موضحة اهمية العلاقة الباكرة بالجزائر وسوريا، مقارنة بسوء الوضع في الاردن ولبنان، واهمية مقولة «فتح» حول عدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول العربية. لكنها تتعقب تغير الموازين وتحول آلية العلاقة مع تعاظم قوة الفدائيين، الى حين التوصل الى صيغة جديدة لاقت اساسها في احداث الاردن ١٩٧٠ وتتويجها في الفرص الجديدة التي قدمتها حرب ١٩٧٣. علما ان المساومة التي تم التوصل اليها بين ما مثله الفدائيون وبين واقع الدول العربية، من خلال الشكل المؤسسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، ما كانت ستنجح لولا تعرض المقاومة لهزة الاردن ولولا قبولها بمنطق النظام الاقليمي العربي الذي حمل وعداً، بعد ١٩٧٣، بتحقيق ما لم تحققه البندقية.

لكن كوبان ترى، ايضا، وسط التطور والتواصل المستمرين في موقف «فتح» من الدول العربية ومن التسوية السياسية خلال السبعينات، ان التحولات في رؤية «فتح» لم تلغ حالة التناقض مع الدول العربية، بل ادخلت